«دراسة مقارنة عن قصيدتَى «الزهاوي» و «در رثاي زهاوي: في رثاء الزهاوى «لمحمد مهدى الجواهري و محمد تقي بهار»

الدكتور محمد جعفر اصغري*

تاريخ التسلُّم: ٢٠١٦/٠٥/٢٠
تاريخ القبول: ٢٠١٦/٠٧/١١

الملخص

إنّ ايران و العراق باعتبارهما بلدَين مجاورَين و بسبب الحدود الجغرافية المشتركة يمتلكان قواسم مشتركة ثقافية بما فيها أدبية. بشكل عام، إنّ هذين البلدين، مع ما يحظيان به من أصالة في التاريخ وميزات ثقافية عالية، لديهما قواسم ثقافية كثيرة حيثُ تمثّلت هذه القواسم في أدب البلدين. فانطلاقا من هذا الأمر، تحاول هذه المقالة بمقارنة هاتين القصيدَتين تصوير صورة ولو قصيرة عن هذا الحقل الواسع. بين بهارالا يراني والزهاوي العراقي، صداقة حميمة حيثُ كانت بينهما مراودة عندما شارك الشاعر العراقي فى المهرجان الألفي للفردوسي المقام في ايران (١٩٣٤م)؛ فلهذا كان باهظا على بهار رحيلُ الزهاوي حيث سالت الدموعُ رقراقا من عينيه فراقا عليه. أما الجواهري فألقى قصيدته على قبر الزهاوي معوّضا عن الدمع والعويل بذكر الشمائل والفضائل والأخلاق الرّفيعة لدي الزهاوي.

تعتمد هذه الدراسة على المنهج الوصفي-التحليلي والافادة من المكتبات كما تُحاول تحليل القصيدتين ضمن الاستشهاد بما جاء في القصيدتين من أبيات شعرية.

* أستاذ مساعد، قسم اللغةالعربية و آدابها، جامعة ولي‌العصر (عج) برفسنجان، (إيران)
(erfan_arabic@yahoo.com)

إنّ ما اهتدت هذه المقالة إليه من نتائج يُبيّن أنّ قصيدة ملك الشعراء بهار فيها ميزات كاملة عن المرثية كالأنين والتأوّه ومزج الكلام بالحكم إلا أنّ قصيدة الجواهري عن الزهاوي لا يسودها الحزن وإنّما تكتفي بذكر سمات الزهاوي.

مفاتيح‌البحث: الأدب المقارن، العراق، ايران، جميل صدقي الزهاوي، الرثاء، محمد مهدي الجواهري، ملك‌الشعراء بهار.

١- المقدمة

إذا ألقى الباحث الأدبي نظرة و لو عابرة على مرآة الأدبين العربي والفارسي يجد أنّ هذه المرآة تعكس الصلات الأدبية بين ايران والعراق أكثر ممّا تعكس الصلات الأدبيةالأخرى، حيثُ أنّ هذه الصلات كانت ولا تزال منذُ يومنا هذا تحتل الحيّز الأوّل بين العلاقات الأدبيةالعربية الإيرانية ولا شكّ أنّ الجوار- بناء على ما يقول به العلماء والمؤرخون- اضطلع بدور هام في تبادل هذه العلاقات والصلات.فتكاثفت الصلات وتوسّعت العلاقات حيثُ أثّرت في ثقافة البلدين بما فيها الأدب والقضايا الأدبية.

إنّ جميل صدقي الزهاوي العراقي الذي تمتدّ جذوره إلى المنطقة الغربية لـ «ايران» أى «كرمانشاه الحالية» همزة وصل بين البحوث الايرانية والعراقية. فهذا الشاعرُ من فُحول الشعراء وبلغ من شأو الشاعر الرفيع ما لم يبلغه غيره من الشعراء ومِن ثمّ كان التعرّف إلى شعره ورصد ما بينه والشاعر الايراني من صلات، ممّا يشتاق إليه الباحث الأدبي. فكانت بينهما صداقة حيث التقيا في المهرجان الألفي الذي أقيم في ايران تكريما للمنزلة السامية للفردوسي في الشعر. فبناء على هذا، عند موت صديقه

الحميم جميل صدقي الزهاوي، انطبع الحزن في نفس الشاعر الايراني ملك الشعراء بهار حيثُ أبّنه في قصيدة طويلة تأبينا رائعا باكيا في فراقه وهجره.

أمّا الجواهري الذي كان ولايزال يتألّق نجمه في سماء الشعرالعربي المعاصر، فلبّي دعوة وزارة المعارف العراقية لإلقاء قصيدة على قبر الزهاوي حيث قرأ قصيدته علي قبره مُشيدا بما عند الزهاوي من صفات جميلة.

فانطلاقا ممّا تقدّم، ونظرا إلي أهمية الدراسات المقارنة خاصة بين البلدين العراق وايران، هذه المقالة تصبّ جُلّ همّها في دراسة مقارنة عن هاتين القصيدتين «الزهاوي» و«در رثاي زهاوي: في رثاء الزهاوي» لهذين الشاعرين. كما تحاول جعل سداها الانصاف ولحمتها الصدق. وقد تبدأ المقالة بالحديث عن الرثاء وما جاء عنه في المعاجم. ثمّ تهتمّ بالرثاء في الأدبين العربي والفارسي آتية بنماذج منه في الأدبين متحدّثة عن حياة الشاعرين وتُعنى بنوع خاص بالمقارنة بين القصيدتين محللة ما جاء عنهما في الكتب المختلفة معزّزة الفكر والرأى بشواهد من شعرهما؛ فلعلها تُساهم في دفع عجلة العلاقات العربية الايرانية.

٢- الدراسات السابقة

طبقا لما اهتدى إليه الباحث، لم يُهتم بهذا الموضوع مستقلا، إلا أنّ هناك دراسات ومقالات لها صلة مع ما يراد في البحث القائم لا تخلو إشاراتنا إلي بعضها من جدوى، منها:

جميل صدقي الزهاوي واللغة الفارسية وآدابها (ناصر محسني‌نيا): يقترب شئٌ ضئيل مما جاء في هذه المقالة من المقالة الحالية (رثاء الزهاوي.....). فاالمقالة تُشير إشارات عابرة إلى ما قاله بهار عن الزهاوي كما ترى المجال أمامها متّسعا للإهتمام بالمنزلة الشعرية السامية للزهاوي. **حب الوطن في شعر ملك الشعراء**

بهار وجميل صدقي الزهاوي (سيد مهدي مسبوق، شهلا زماني، علي عزيزي). **المرثية في الأدبين الفارسي والعربي؛ أبوالحسن تهامي وخاقاني شرواني نموذجا.** (ناصر محسني نيا، آرزو يزدان پناه كرماني). **الدين في فكرة شهريار والجواهري** (مهدي ممتحن، حسين محمديان، محمد امين روديني). **دراسة مقارنة عن وصف الشهيد والشهادة في شعر شهريار والجواهري.** (علي سليمي، عبد الصاحب نوروزي). **ملحمة ثورة في الجحيم في شعر جميل صدقي الزهاوي.** (صمد سليماني، رحمت الله حيدري منش، حسن بهادري).

٣- أسئلة البحث

١-ما هى القواسم المشتركة و وجوه التباين الموضوعية في قصيدَتَى بهار والجواهري؟

٢-ما هى الأساليب الفنية التي اعتمد عليها الشاعران عند رثاء الزهاوي؟

٤- نبذة عن حياة جميل صدقي الزهاوي وشاعريته

«وُلد جميل صدقي الزهاوي في بغداد سنة ١٨٦٣م ونشأ في بيت علم و وجاهة. عُين عُضوا في محكمة استئناف بغداد وبعد رحلة إلى الآستانة واليمن انتُدب لتدريس الفلسفة الاسلامية في المدرسة الملكية والآداب العربية في دار الفنون بالآستانة». (الفاخوري، ١٤٢٢هـق: ٤١٠). هو مشهور بشاعر الاجتماع والوطن. «لقد أنشد الشاعر في المهرجان الألفي الذي أقيم في ايران على شرف الفردوسي قصيدتين بالفارسية والعربية. أمّا القصيدة الفارسية فهى «بعد از هزار سال: بعدَ ألف سنة». تحتوي هذه القصيدة على سبعة عشر بيتا. والقصيدة العربية هى «أتينا محتفلين» في سبعة وثمانين بيتا». (محسني‌نيا، ١٣٨٩هـش: ٣٦).

٥- لمحة من حياة محمد مهدي الجواهري وشاعريته

هو من مواليد عام ١٩٠٣م. في النجف الأشرف. ينحدر الشاعر من أسرة دينية علمية. «والده كان من علماء الدين وكان يصحبه منذ كان طفلا إلى مجالسه الليلية، وفيها الشعراء والعلماء والأدباء الذين اشتهرت بهم حينذاك النجف. فحفظ الجواهري القرآن وأخذ اللغة وقراءة الشعر من تلك المحافل العلمية والأدبية (شكيب انصاري، ١٣٩٣هـ.ش: ١١٨). له ديوانٌ شعري باسم ديوانالجواهري. في ديوانه شعرٌ سياسي واجتماعي كما فيه كثيرٌ من شعر المناسبات و وصف الطبيعة.

٦- ملك الشعراء بهار في سطور

«وُلد محمد تقي بهار عام ١٣٠٤هـ.ش في مشهد. كان أبوه محمد كاظم صبوري ملك الشعراء للعتبة المقدّسة الرضوية» (ياحقي، ١٣٧٨هـ.ش: ٣١). كان الشاعر مُطلعا على الأدبالعربي حيثُ يقول نفسه «فقد سمعت كثيرا من الأشعار العربية من أبي فلم أنسها بعدٌ» (مير انصاري، ١٣٨٥هـ.ش:١١). فقد كان الشاعر مهتما بالصحافة أيضا حيثُ اختير نائبا لمجلس الشورى الوطني. إضافة إلي ديوان الأشعار، له مؤلفات: سبك‌شناسي (الأسلوبية، ثلاثة مجلدات)، تاريخ احزاب سياسي (تاريخ الأحزاب السياسية)، تاريخ تطور نظم فارسي (تاريخ تطور النظم الفارسي).

٧- التعريف بقصيدة الجواهري (قصيدة الزهاوي):

بناءً على ما جاء في ديوان الجواهري، نظمت هذه القصيدة عام ١٩٣٦م. بتوصية من وزارة المعارف العراقية لقراءتها على قبر الزهاوي في الذكرى الأولى لوفاته. «تسلمنا يوم أمس الأول كتاب لجنة تأبين الأستاذ المغفورله السيد جميل صدقي الزهاوي من وزارة المعارف، والمتضمن اعتماد اللجنة المذكورة علينا لإلقاء قصيدة في حفلة التأبين» (الجواهري، بدون تاريخ: ٢٩١). القصيدة فى البحر الطويل

وتحتوي على أربعة وثلاثين بيتا شعريا.

٨- التعريف بقصيدة بهار (قصيدةُ دَر رثاي زهاوي: في رثاء الزهاوي):

هذه القصيدةُ نظمها ملكالشعراء بهار في رثاء جميل صدقي الزهاوي عام ١٣١٧هـ.ش. القصيدة في القالب المسمّي بـ «تركيب بند» في اللغة الفارسية وفي خمسة مقاطع. تشتمل القصيدة على ثلاثة وستين بيتا شعريا. «يتألف هذا الضرب من الشعر من مقاطع مختلفة حيث تتّحد في الوزن وتختلف في القافية؛ فيؤتى بعدّة أبيات على وزن واحد وقافية واحدة ثمّ يؤتى ببيتٍ مقفّى في نهاية المقطع يختلف مع الأبيات السابقة في الوزن والقافية و هذا العمل لا يزال يتكرر. والفرق بين «ترجيع‌بند» و «تركيب‌بند» هو أنّ «بيت‌ترجيع» في «ترجيع‌بند» واحد إلا أنّه مختلف في «تركيب‌بند» (همايي، ١٣٧٥هـ.ش: ١٨٥).

٩- قصيدتا «الزهاوي» و«در رثاي زهاوي: في رثاء الزهاوي» في ميزانية الأدب المقارن

ليس بين أيدينا ما يدل على أنّ الشاعرين كانا ينويان المعارضة؛ لأنّ ما قاله الجواهري يختلف وزنا وعروضا عما قاله محمد تقي بهار. فتأسيسا على هذا، تنتهج الدراسة منهج المدرسة الأمريكية في الأدب المقارن التي لا تُعير اهتماما للتأثير والتأثّر بين الشاعرين كشرط للمقارنة. فالمقالة تهتم بمقاربة نقدية في القصيدتين متأثّرة بدراسات التوازي والتقابل المطروحة في المدرسة الأمريكية.

١٠- الرثاء لغة

«الرثاء هو مدحُ الميت بعد الموت والبكاء عليه. يقال: رثيتُ الميت رثيا ورثاء ومرثاة ومرثية ورثّيته: مدحتُه بَعدَمَوته وبكيتُه ورثوتُ الميت أيضا إذا بكيته و عدّدت محاسنه، وكذلك إذا نظمت فيه شعرا» (لسان العرب، مادة رثي). «الرثاءُغرضٌ

شعري عُرفَ عِند العرب وغيرهم من الشعوب منذُ أقدم العصور وعُدّ من أغراض الشعر الهامّة والتي أخذت حَيزا عند كُلِّ الشعراء» (البقاعي، ١٤٢٩هـق: ٥).

١١- نظرة إلى الرثاء في الأدب العربي

رثى كثير من الشعراء العرب الأشخاص والملوك والإخوة والأخوات واجدين في أنفسهم ينبوعا فياضا يعبّر عمّا يختلج في صدورهم من مشاعر فياضةوأحاسيس جياشة. المنهج العلمي يتأبّى عن الافاضة في الحديث عن كل ما جاء في ديوان الشعراء العرب من مراث إلا أنّنا ندلي بدلونا بين الدّلاء الكثيرة آخذين من كل بطرف. فنظرة عابرة إلى الأدب العربي تُشير إلي أنّ الخنساء لا مثيلَ لها في الرثاء في الأدب العربي حيث بكت أخويها صخر و معاوية وأبكت القلوب بأشعارة المفعمة بالعاطفة. «كثيرا ما تفتح الخنساء قصائدها بمناجاة عينيها وكثيرا ما تستنزف العينين وتستقطرهما دموعا قرّحتهما». (الفاخوري، ١٩٨٦م: ٢٩١).

ألا يا عَينُ فانهمري بِغدر وَفِيضي فيضة مِن غَير نذر
ولا تَعدي عَزاء بَعدَ صَخر فَقَد غُلِبَ العَزاءُوعِيلَ صَبري
(ديوان الخنساء، ١٩٨٦م: ٣٠)

أمّا الشاعر الآخر الذي لم يتخلف عن ركب الشعراء الراثين فهو صفى الدين الحلي.يبدوأنّ صفي الدين كان مطلعا على رثاء الخنساء لأخويها صخر ومعاوية ولعل القول أنّه قرأ أشعارها.فنرى الشاعر يرثي امير ركن الدين اسحاق قائلا:

أيا صَخر الجنان أدمَتَّ نُوحي فَهَا أنا فِيكَ خَنساءُ الرِّجالِ
(ديوان صفي الدين، بدون تاريخ: ٣٤٧)

١٢- نظرة إلى الرثاء في الأدب الفارسي

«لاسابقية لفكرة استقلال المرثية في الشعر الفارسي. أما في التقسيمات الجديدة

فعدّوا المرثية في عداد الأشعار الغنائية مُعتبرين إياها نوعا مستقلا مُعتقدين أنّ الشعر الغنائي هو الشعر الذي ينطوي على العواطف والاحساسات الروحية كالوصف والمدح والرثاء والفخر والهجاء والغزل» (زرين‌كوب، ۱۳۷۹ هـ‌ش: ۱۵۵). فمراعاة للمنهج العلمي وتجنبا عن الاطالة يؤتى بنماذج من الرثاء لدى الشعراء الفارسيين بمقدار ما يسدّ الحاجة ويجلب الكفاية. فنسمع الفردوسي كيف يعبّر عن عواطفه وأحاسيسه إزاء موت ولده:

مَرا سال بُگذشت بَر شصت وپنج — نَه نیکـو بُـوَدگَر بـارم بـه گـنج
مَگر بَهـره گیـرم از پَنـدِ خـویش — بیاندیشم از مرگِ فرزندِ خویش
مرا بُـود نُوبـت بِرَفـت آن جَـوان — زِدَردَش مَنَم چُون تنِ بـی روان
(فردوسی، ۱۳۸٦ هـ‌ش: ۲۷)

الترجمة: لقد جاوزتُ السن الخامسة والعشرين من عُمري. فلا يحسن بي التوجّه إلى المال وادّخاره، إلا أن أستفيد ممّا لديّ من تجارب وعِبَر مُتأمّلا في مَوت ولدي.كان دوري(غير) أنّه سبقني و ذهب. وأنا من ألم فراقه جسمٌ بلا روح.

وأمّا الحافظ الشيرازي فنسمعه كيف يعبّر عن عاطفته إزاء موت فلذة كبده:

بُلبُلی خونِ دلی خورد و گُلی حاصل کـرد
بادِ غیرت به صَدَش خار، پریشان دل کـرد
طوطی‌ای را به خیالِ شکری دِل خُوش بود
نـاگَهَش سـیلِ فنـا نَقـشِ اَمَـل باطـل کـرد
قُـرّةالعین مَـن آن میـوه‌ی دل یـادَش بـاد
که خود آسان بِشُد و کارِ مَرا مُشـکل کـرد
(حافظ، ۱۳۸۰هـ‌ش: ۱۰٤)

الترجمة: لقد عانى بلبلٌ الأمرّين في سبيل نشأة زهرة وتربيتها (غير) أنّ مشاكل الدّهر جعلته حزينا. كانت الببغاء (نفس الشاعر) تفكّر في تحقيق آمالها (المعبّر عنها بالحلاوة)، غير أنّ فيضانات الزوال أزالت الآمال. فلتحيى ذكرى قرّة عيني حيثُ كانت ثمرة قلبي. فهو بتركه الدنيا وما فيها، سهّل الأمر لنفسه، إلا أنّه (جعل الأمور لي معقّدة) حيثُ لا أستطيع تحمّل فراقه.

١٣- القواسم المشتركة الموضوعية

مع أنّ عنوان المقالة أى «دراسة مقارنة عن قصيدَتَى «الزهاوي» و «در رثاى زهاوي: في رثاء الزهاوي» لـ محمد مهدي الجواهري ومحمد تقي بهار»» يحمل في طياته من موضوعات ومعان ما يجعل القاريء يتوقّع أن يكون الحُزن سائدا على موضوعات المقالة ومع أنّ الحديث في سالف من الصفحات جرى على الرثاء، إلا أنّ المنهج يستدعي السبر أغوارالقصيدتين وتحليل ماجاء فيهما من أبيات سواء أ سُمِع منها صوت الرثاء أم فاحت منها شذى الصفات والميزات؛فتأسيسا على هذا، تقوم المقالة باستخراج القواسم المشتركة محللة الأبيات الموجودة في القصيدَتَين.

١٣-١- الاشادة بالأخلاق والعلم لدى الزهاوي

يعتقد بهار أنّه قد تألق نجمُ الزهاوي في سماء الشعر بعد قُرون مُتمادية حيثُ لم يكُن الشعر على حاله الأحسن. فهو الذي كان العالم ينتظر مقدمه والذي لا يمكن للزمان أن يأتي بمثله:

قرنها بُگذشت تا آمد زهاوی در وجـود نیز چون او باز نارَد قرنها دُورِ زَمـان

(بهار، ١٣٧٨هـ ش: ٥٣٠)

الترجمة: لقد تعاقبت القرون (واحدة تلو الأخرى) حتّى ظهر الزهاوي. والزمان في دَوَرانه لا يمكن له أن يأتي بمثله.

كما يلاحظ عليه، لم يشر بهار مُباشرا إلي السمات الأخلاقية للزهاوي، إلا أنّ كلامه عن الزهاوي إضافة إلى ما فيه من إشادة بالمنزلة السامية له في الشعر، ينطوي على السمات الأخلاقية للشاعر العراقي أيضا؛ لأنّ ما جاء في المصرع الثاني أي «نيز چون او باز نارد قرنها دور زمان: والزمان في دَوَرانه لا يمكن له أن يأتي بمثله»، يمكن أن يحمل على معنيين مختلفين. إذ إنّ المصرع يحمل في ثناياه ما يشير إلي مَقدرته الشعرية كما يستوحى منه ما يحظي به الزهاوي من أخلاق فاضلة.

أمّا إذا تقصى القاريء البيتين التاليين للجواهري فيستوحي منهما البعد الأخلاقي كما يستشف البعد العلمي. إنّ ما يعتقد به الزهاوي نقي (وكان نقيا فكرةً وعقيدةً) ومن الناحية العلمية إنّه يبنى عقيدته علي أساس المعلومات الصحيحة والبراهين الدامغة (أقام عَلَى العِلمِ الصَّحيح اعتقادَه). هذا ما يقوله حنّا الفاخوري في كتابِهِ المعنون بـ«تاريخ الأدب العربي» «الدين عند الزهاوي خاضعٌ للعقل، و هو لذلك يريده مجرداً من الخرافات ومجرداً مِن كُلِّ ما لا يقبله العقل». (الفاخوري، ١٤٢٢ هـق: ٤١٧).

أقامَ عَلَى العِلـم الصّـحيح اعتقـادَهُ عَـدُوٌّ لأشـباحِ الخرافـات طـاردُ
وكـــانَ نَقيـــاً فِكـــرةً وَعَقيـــدَةً عَزيـزٌ عَلَيهـا أن تسـفّ العَقائـدُ
(الجواهري، بدون تاريخ:٢٩١)

يشيد بهار في قصيدته بما عند الزهاوي من علم وفضل إلا أنّ كلامه فيه شيءٌ من اللوعة والحرقة. فهو يسمّي الزهاوي بعالم الفضل والأدب:

عالمي فَضـل واَدَب را بُرد با خُود زير خـاك
گرچه از اين خاكدان خُود يكه وتَنها گُذَشت
(بهار، ١٣٧٨هـش:٥٣٠)

الترجمة: لقد حمل الزهاوي معه تحت التراب عالما من الفضل والأدب وإن ترك

هذه الدنيا وحيدا.

فقد يعلن ملك الشعراء بهار في قسم آخر من قصيدته أنّه لا ينوح على الزهاوي، وإنّما ينوح على الفضل والعلم اللذين كان الزهاوي متّصفا بهما. لعل الكلام يحمل في ثناياه ما يشير إلى أنّ الزهاوي لَهُ منزلة سامية في الفضل والأدب، وإن يمزج الشاعر كلامه بشئ من الحزن والمأتم:

بَر زهاوی نوحـه‌ی مَن نوحه‌ی عِلم اسـت و فَضل
نوحـه‌ام بَـر پیکری مَشهـود و نـامَشهـود نیسـت
(بهار، ١٣٧٨هـ‌ش:٥٣٠)

الترجمة: أنوح على الزهاوي لما فيه من علم وفضل، ولا أنوح على جسمه المرئي أو غير المرئي.

إلا أنّ الجواهري يصف الزهاوي بقائد الجيش حيث يطلب جيش العلم والفضل من الزهاوي أن يكون قائدا لهما. كما يلاحظ، يشبّه الجواهري العلم بالجيش دلالة على الكثرة كما يشبّهه مرّة أخرى ضمنيا بقائدٍ لهذا الجيش. ثُمّ يعقّب كلامَه بطرح استفهام انكاري «فهل أنت قائدٌ؟». فمن المسلم به أنّ قصد الشاعر العراقي بهذا الاستفهام هو أنّ الزهاوي جديرٌ بأن يكون قائدا لجيش العلم:

وَهذي جُيوشُ العِلـم والشـعر تَبتغـي لهـا قائـداً فـذاً فَهَـل أنـتَ قائـدُ؟
(الجواهري، بدون تاريخ: ٢٩١)

١٣-٢-الاشادة بالفن الشعري عند الزهاوي

يشير الشاعر الايراني بأساليب مختلفة وبعبارات جميلة بالفن الشعري لدى الزهاوي. فهو مرّة يسمّيه بـ«سلطان الخطاب» وإن كانت رائحة الحزن والمأتم تفوح من شعره:

وَهــذى جُيــوشُ العِلــم والشــعر تَبتغــى
مردمِ شَهرى به شَهر و بَدو دَر هـامون گريسـت
(بهار، ١٣٧٨هــش:٥٣٠)

الترجمة: لقد بكى (هذا الشاعرَ) ساكنوا المدن، كما بكاهُ البَدوُ في (جزيرة) هامون. وذلك من أجل هذه المصيبة العامة أي موت سلطان الخطاب.

مما تقدم، يتجلى للقاريء أنّ الشاعر الايراني ملك الشعراء بهار يرى موتَ الزهاوي و هو يعتبره سلطان الخطاب مصيبة عامة. وهذا يدل على أنّه يجعله شاعرا عالميا يرثيه كلُّ الناس من البدو والحضر. يصف بهار أيضا شعر زهاوي بـ«روان بودن: السلاسة» كما يعتبر قريحته الشعرية طاهرة حيث تبكي الكلمات فراقا على هذه القريحة الطاهرة:

اَز غــم شِــعرِ رَوانــش، فِكــر اَز گــردِش فِتــاد
دَر فراقِ طبعِ پاكَش، لَفظ بَر مَضمون گِريسـت
(بهار، ١٣٧٨هــش:٥٣٠)

الترجمة: لقد توقَّفَ الفِكرُ عَن دَوَرانه حُزنا عَلي شِعرهِ السَّلس كما بَكى اللفظُ عَلَى المضمون فراقا لِقَريحته النقية.

لم ينحصر حديثُ بهار عن الزهاوي فيما ذُكر عنه، إنما تعداه إلى ميادين أخرى حيثُ فضل الزهاوي على الشعراء العباقرة العراقيين طوال التاريخ كـ«المتنبي» و«ابوالعلاء المعري» و«ابوالأسود الدوئلي» و«دعبل بن علي الخزاعي» و«بشاربن برد»:

أيها الزوراء تو اُستادان فراوان ديدهای شاعرانی فَحل و مَردانی سُخندان ديدهای
گر نَديدستی لبيد وأخطل وأعشی وقيس دعبل و بوطيب و بشار و مروان ديدهای

بُوفراس وبوتمام وبوالعلاء وبو الأسد ابن معتز وابن خازن وابن حمدان ديده‌ای
راست پُرسم راستگُو، مانندهی صدقی جميل كِی وَطَن خواهی سُخَن گُستر به دوران ديده‌ای؟
(بهار،۱۳۷۸ هـ‌ش:۵۳۰)

الترجمة: أيتها الزوراء! لقد نشأ وترعرع فيك كثيرٌ مِن الأساتذة كما نشأ فيك الشعراء الفحول والفصحاء. لقد نشأ في كَنَفِكَ دعبل و أبو طيب وبشار ومروان، وإن لم ينشأ فيك لبيد وأخطل وأعشى وقيس. نشأ فيك (أيضا) كثيرٌ من الشعراء مثل أبي نواس وأبي تمام وأبي العلاء وأبي الأسود وابن المعتز وابن خازن وابن حمدان. أسئلك عن صدق فأجبني صادقا: متى رأيت وطنيا لَسِنا على مدى الدهر كَجميل صدقي الزهاوي.

أمّا ما يلفت النظر فهو أنّ الشاعر لا يزال يسعى إلى إقناع المتلقي على أنّ الزهاوي أفضلُ شُعراء العراق وأحسنهم. فهو في بيت مستقل مع ذكر «بوطيب وبوالعلاء» يخاطب القارئ أنّ شعر هذين الشاعرين طافحٌ بالحكمة والعبر والموعظة إلا أنّه مع كل هذا، لا يبلغ المبلغ الذي بلغه شعرُ الزهاوي:

بُگـذر از بوطيـب و بَربَنـد چشـم از بـوالعلاء
گَر بِه جِكمَت شعرهايی چَند از ايشان ديده‌ای
(بهار، ۱۳۷۸هـ‌ش:۵۳۰)

الترجمة: فغضّ الطرف عن أبي طيب المتنبي وأبي العلاء وإن رأيت لديهما عدة من الأشعار الحكمية.

من تقصى شعر الزهاوي يشهد بحسن ذوقه وملكته الكامنة وقريحته المتدفقة حيثُ تركت هذه العوامل آثارها البارزة فيما نظمه من قصائد وجمعها في ديوانه. يجهش بهار بالبكاء على ما عند الشاعر من هذه القريحة المتدفقة والألفاظ الحلوة. هذا ما أدّى بـ«حنا الفاخوري» إلى أن يقول: «كان غزير المادّة، فياض القريحة، وكان

شعره فيضا من نفسه، وصورة لشعوره». (الفاخوري، ١٤٢٢هـق: ٤٣٢). للزهاوي قريحة شعرية حيث يجهش بهار بالبكاء على هذه السجية والألفاظ الحلوة لديه:

نوحـه‌ام بـر طَبـع الهامـات و طَبـع شـعر اوسـت
وَرنَه موجود است جانش، جسمش ار موجود نيسـت
نوحـه‌ام بـر طبـعِ گُـوهر بـارِ شـيرين لفـظ اوسـت
كآنچنـان هَرگـز بـه قيمـت لُؤلُـؤ منضـود نيسـت
(بهار، ١٣٧٨هـش:٥٣٠)

الترجمة: أنا أنوح على الإلهام الشعري والقريحة الشعرية لديه؛ لأنّ روحه مُوجودة، وإن كان جسمُهُ غير موجود. إنّما أنوح على قريحته المتدفقة الحلوة، حيثُ لَن تساويها اللآلي المنضودة.

يعتبر الجواهري مواطنه الزهاوي أبا الشعر والفكركما يصِفُهُ بأنّه يوقظُ عيون الأمّة على واقعهم. «أسهم الزهاوي إسهاما شديدا في إيقاظ الأمة وتحريك الضمائر وخلق الحاجة في النفوس إلى حياة أفضل». (الفاخوري، ١٤٢٢هـق: ٤٣٢). ثمّ يصرّح الشاعر العراقي بأنّه عزيزٌ علينا أن نرى هذا الشاعر الفحل ميتا كما وأنّه حزينٌ بِسَبب فراق الشاعر:

أبَا الشعر والفكر المنبّه أمّةً عَزيزٌ عَلَينا أنّكَ اليومَ راقِدُ
(الجواهري، بدون تاريخ:٢٩١)

في قسم آخر من القصيدة يصِفُ الجواهري أشعار الزهاوي بأنّها رائعة وفريدة من نوعها كما يراها مليئة بالوعظ والحكمة. فالزهاوي قد نظم أفضل الأشعار وأحسنها وما أتى به في شعره مِن مَعان حَدائق تسقي بِالنّدي:

فأين قصيدٌ قَد نَظمتَ فَريدَهُ وأين مِنَ الشعر البديع الفرائدُ

وَأينَ النكاتُ المؤنساتُ كَأنّها حَدائقُ تُسقى بِالنَّدى وَتُعاود
(الجواهري، بدون تاريخ:٢٩١)

يأتي الشاعر في المصرع الثاني بعبارة «النكات المؤنسات» ويقصد بالعبارة ما يأخذ بمجامع القلوب وهى الحكمة التي كان يدعو إليها في شعره. يعتقد الجواهري أيضا كنظيره الايراني بهار بأنّ الزهاوي يتمتّع بسجية لطيفة وعالية حيثُ بزّ في ذلك جميعَ الشعراء:

وَكُنتَ أرَقَّ النّاس طَبعاً وَنُكتَةً وألطفَ مَن دارَت عَليهِ المقاعدُ
(الجواهري، بدون تاريخ:٢٩١)

١٤- وجوه التباين الموضوعية

١٤-١- صوتُ المأتم فِي قَصيدةِ «در رثای زهاوي: فِي رِثاءِ الزهاوي» لِملك الشعراء بهار

إنّ قصيدة ملك الشعراء يملؤها الحزن والمأتم وفيها سمات المرثية تقريبا. يستهل الشاعر الايراني قصيدته بأنّ نهر «دجلة» قد بكى الزهاوي دما والعراق يذرف الدموع حُزنا على فقد ابنه العزيز:

دجلهِ بَغداد بر مرگِ زهاوی خون گریست
نِی خَطا گُفتم که شرق از نیل تا سیحون گریست
اشک ریزان شد عراق از ماتم فرزنمد خویش
همچو یونان کَز غم هجرانِ افلاطون گریست
زین بَلای عام، یعنی مرگِ سُلطانِ سُخن
مردم شهری به شهر و بدو در هامون گریست
(بهار، ١٣٧٨هـ ش:٥٣٠)

الترجمة: لقد بكت دجلة بغداد على موت الزهاوي دما ولم أجانب الصواب إذا قلتُ: لقد بكى الشرق من نهر النيل إلى نهر سيحون. لقد تدفقت دموعُ العراق حزنا على مأتم ابنه،كما بكت يونان بكاء في هجران افلاطون. من أجل هذه البلية العامة، أى موت سلطان الخطاب، بكي ساكنو المدن وساكنو الصحراء في هامون (أيضا).

إنّ مصيبة فراق الزهاوي من أعظم المصائب وأشدّها فجعة حيثُ تبكيه القلوب والعيون في كل زمان ومكان. فبناء على هذا،ينوح بهار صديقه العراقي نوحا يؤدّي به إلى القول بأنّ الصبر حيال موت هذا الشاعر ليس علامة البؤس فحسبُ، وإنّما علامة اليأس والخيبة:

گــر بِــه مَــرگش صَــبر بِنمــاییم از بیچارگیســت
وآن به موقع یأس و نومیدی است نِی صـبر و تـوان
(بهار، ۱۳۷۸هــش:۵۳۰)

الترجمة: إن صبرنا على موته، فذلك ناجم عن العجز والنكد (إلا أنّ) هذا ليس صبرا، إنّما هو يأس وخيبة.

١٤-٢-مزج الحكمة بالمرثية فِي قَصيدةِ «در رثاى زهاوي: فِي رِثاءِ الزهاوي» لِملك الشعراء بهار

يرى الانسان زوال الدنيا و مافيها، مُلقيا نظرات عابرة إلى الأمم الغابرة وما بقى منهم من الآثار تتجلى أمامه لوحات متماسكة تنبو عن عدم وفاء الدنيا. من جرّاء ذلك، يمعن النظر في مغبة الغابرين لابسا لباس الواعظين. الشاعر الايراني خلال رثاء صديقه العراقي يصل إلي أنّ الدنيا لا تبقي على شيء ولا وفاء لها حيثُ يفكّر في حقيقة الحياة داعيا إلي عدم التعلق بنعيمها الزائل؛ لأنّها تُكدّر صفو العيش. إنّ صبغة الحكمة واضحة في شعر بهار؛ لأنّ الشاعر بعد البكاء والأسف في جميع مراثيه يترك

رسالة للمخاطب وهى أنّ الانسان يودع يوماما هذه الدنيا. فعلى الانسان أن لا يفتن بهذه الأيام القليلة من الحياة. كما ذُكر سابقا، إنّ مرثية بهار تتمتّع بكامل ميزات المرثية. فالشاعر بعد أن يبكي ويجزع في فراق الزهاوي، يهتدي في طيات القصيدة إلى أنّ هذه الدنيا فانية والكل يتجاوزون هذه المرحلة:

هيچكس را دَر جهان جُز مُدّتی مَعدود نيست
غيرِ ذاتِ حَق تعالی جاودان موجود نيست
(بهار، ١٣٧٨هـ ش:٥٣٠)

الترجمة: لا يبقى أحدٌ في هذه الدنيا إلا أياما معدودة ولا يخلد موجودٌ غير الله سبحانه وتعالي.

إنّ ما جرى من الأحداث فِي الأمم الغابرة لدى الشاعر كمرآة وكنز للاعتبار، فالدنيا و ما فيها من ضوضاء وضجيج، يجعلان الانسان متعبا. فيضيف الشاعر الايراني ضربا من الحكمة والتأمل والتبصر في الدنيا والدعوة إلى تركها مسرورا والتزود بما يخلد الانسان. فنرى الشاعر الايراني مع أنّه مُصابٌ بفراق صديقه الحميم «الزهاوي» إلا أنّه يؤكد علي أنّ الزهاوي سئم الدنيا تاركا اياها مسرورا:

شُد زهاوی خَسته وَ زين دهرِ پُرغوغا گُذشت
دَست افشان پای كوبان از سرِ دُنيا گذشت
(بهار، ١٣٧٨هـ ش:٥٣٠)

الترجمة: لقد تعب الزهاوي من الدنيا المليئة بالضجيج والضوضاء. فترك الدنيا مسرورا مبتهجا.

وفي أثناء الحديث عن صديقه الحميم الزهاوي، يتحدّث الشاعر الايراني عن الدنيا وأحداثها وما يمرّبها. فهو يحذّر المتكالبين على اكتناز المال وتثميره والذين

أصبحوا أسارى متاع الدنيا الزائل حيثُ يحول دونهم للتخلص ممّا يعيشون فيه من بذخ وترف. فلهذا نراه في قسم آخر من قصيدته أنّه يعتقد بأنّ كل إنسان يترك الدنيا عن قريب، فمن الأفضل في مثل هذه الحالة أن يموت الإنسان حرا وعالما:

عُمر اگر یک روز اگر صَد سال، می‌بایست مُـرد
نیکبخـت آنـک اَز جهـان آزاده و دانـا گذشـت
(بهار، ۱۳۷۸هــ‌ش:۵۳۰)

الترجمة: الانسان لايهمّه عُمِّر يوماً واحداً أو مئة سنة (لأنّه يعرف كل انسان يموت آجلا أم عاجلا). فالمسعود هو الذي جاوز الدنيا حُرّا عالما.

١٤-٣-مكافحة الظلم لدى الزهاوي

فالجواهري الذي يشيد بمكافحة الظلم لدى الزهاوي هونفسه «غير منطو علي نفسه وعدو لدود للظلم في كل مكان». (حور، ١٩٩٨م: ٧٢-٧١). فبما أنّه لديه مثل هذه الميزة، يترفّع بنفسه أن يكون شعره عبثا وسدى لا هدف من ورائه. فعند رثاء الزهاوي، يتحدّث عن العدالة ومكافحة الظلم لدى الزهاوي مُشيدا بهاتين الميزتين لديه. كما أسلفنا أنّ قصيدة الشاعر الايراني عن الزهاوي طافحة بالحزن والمأتم وقلما يذكر ميزات الزهاوي المبنية على مكافحة الظلم، غير أنّ الجواهري وهو حاضر لدى قبر الزهاوي يشير إلى أنّ الزهاوي اعترض على الظلم ذائدا عن العدالة:

ثَوَى اليومَ فِي هـذِي الحفيـرةِ شـاعِرٌ عَلَى الظُّلم محتجٌ عَـن العَـدلِ ذائـدُ
(الجواهري، بدون تاريخ:٢٩١)

١٤-٤-تنوير الفكر لدى الزهاوي

مَعَ أنّ ما يقوله الجواهري عَن الزهاوي فيه شيءٌ من الحسرة التي تقترب من الرثاء، غير أنّه كما تقدّم، يتفوّه بالميزات الحسنة لدى الزهاوي مُؤكدا على أنّ الدين عند

الزهاوي فيه حبٌ و رحمةٌ وعدالةٌ:

يؤكّدُ أنّ الديـن حُـبٌّ وَرَحمـــــةٌ وَعَـدلٌ وإنّ اللهَ لا شَـــكَّ واحِـدُ
وإنّ الـذي قَـد سَـخّرَ الـدّينَ طامعـاً يتاجِرُ باسم الله، لله جاحـــــــدُ

(الجواهري، بدون تاريخ:٢٩١)

١٥-القواسم الفنيةالمشتركة

١٥-١-ذكر المرثي له في القصيدة

لقد ذكر بهار اسم الزهاوي سبع مرّات في قصيدته حيثُ أتى بلفظة الزهاوي خمس مرّات كما ذكره في ثنايا قصيدته مرّتين بـ«صدقي جميل» و«صدقي». هذا وفي الوقت الذي يأتي الجواهري باسم الزهاوي أربع مرّات. فيذكر اسم «زهاوي» كما يذكر لفظ «جميل» مرّتين. أتى الشاعر الايراني بلفظ الزهاوي في قصيدته أكثر ممّا أتى به الجواهري في قصيدته. ولعل الأمر يعود إلى كون قصيدة بهار أطول منها عند الجواهري. فقد يتبادر إلى الأذهان هذا السؤال: ما هي النكتة الفنية وراء ذكر الشاعرالمرثي له؟ فِي الاجابةِ عَن هذا السُّؤال لا بدّ من القول إنّ الاتيان باسم الشاعر الفقيد الذي يرثيه الشعراء يؤثّر في المتلقي تأثيرا،لأنّ المخاطب كلما يسمع اسم الشاعر الفقيد فيتحسّر أكثر وأكثر كما هو يرافق الشاعر فيما أصيب به من حزن.

١٥-٢-استخدام المحسّنات الأدبية

إذا تأمّلنا في قصيدة الشاعر الإيراني استوحينا أنّ الشاعر الايراني أكثر استخداما للمُحسنات الأدبية بالنسبة إلى نظيره العراقي. يستهل بهار قصيدته بالاستعانة بطائفة من المحسنات الأدبية. من أهمّ ما يستخدمه الشاعر لِتصوير صُوره الشعرية الاستعارة. فيستطيع الشاعر بالاستعارة نقل ما في ذهنه من تجارب شعرية وأحاسيس إلى الآخرين مؤثّرا فيهم. فبهار يرى دجلة تبكي دما على موت الزهاوي «دجلهي بغداد

بر مرگ زهاوي خون گريست: بكت دجلة بغداد علي موت الزهاوي دما» وهذا يدخل في دائرة التشخيص؛ إذ إنّه نسب صفة البكاء وهى للإنسان إلى غير الإنسان أى نهر دجلة على سبيل الاستعارة المكنية. في البيت الثاني من القصيدة يشبّه الشاعر العراقي العراق بانسان يذرف الدموعَ في مأتم ابنه. كما نرى، ينسب بهار ذرفَ الدّموع و هو مِن صفات الإنسان إلى العراق. على حين أنّ الشاعر العراقي لم يستخدم في قصيدته المحسنات الأدبية إلا في الأبيات الأولى من القصيدة حيثُ يقول: «عَلى رُغم أنفِ الموت ذكرك خالد». يشبّه الجواهري قصائد الزهاوي بصوتٍ يدوّى في «سمع الدّهر».

لم ينحصر استخدامُ المحسّنات الأدبية من جانب بهار في مُستهل القصيدة إنّما تعدّاه إلى المقاطع الأخري مِن القصيدة. فقد يستخدمُ الشاعرُ هذه المحسنات حتّي تبدو الفاجعة أشدّ هولا ممّا يتصوّرحيثُ يساعد على احداث التأثير النفسي المطلوب. فقد يرى الشاعر النثر والنظم مُصابَين بفقدان الزهاوي:

زَد گريبان چاک نظم و ريـخت بَر سَر خاک نَثر
از غم او هَر يکـى مُـوزون ونـاموزون گريسـت
(بهار، ١٣٧٨هــش:٥٣٠)

الترجمة: لقد بكى في فراقه كلٌّ مِنَ الشاعر والناثر حيثُ شقّ الشعرُ جيبه كما لطّخ النثر رأسه بالتراب.

في مقطع آخر يرى سحاب الربيع قد خيم على قبر الزهاوي باكيا اياه أكثر ممّا يبكي عليه ملك الشعراء. استعان الشاعر في هذا المقطع بتشبيه ضمني فيه طرافة تؤثّر في المخاطب:

دُوش بَــر خــاکِ مَــزارش خیمــه زَد اَبــرِ بهــار
خواست دَر هِجرش زِچشمانِ بهار اَفزون گریست
(بهار، ١٣٧٨ هــش:٥٣٠)

الترجمة: لقدخَيمَت غيومُ الربيع عَلي قَبرالزهاوي، فكادت أن تسبق عيون بهار في البكاء عليه.

والجواهري أيضايرى الخيال -باعتباره مقياسا هاما مِن مقاييس جودة الشعر- إنسانايجعل الشعرمفعمابالهيبة. فهو عند الإشادة بالفن الشعري لدى الزهاوي يصرّح بأنّ الخيال الذي يجعل الشعر حياً ساكنٌ عَلى قبر الزهاوي:

وإنّ خيالا يملأ الشعر رهبةً سُكونٌ عَلى قَبر الزهاوي سائدُ
(الجواهري، بدون تاريخ: ٢٩١)

١٦-وجوه التباين الفنية

١٦-١-الأسلوب الخطابي في قصيدة «الزهاوي» للجواهري

درس النقاد والأدباء الأسلوب و ما يتضمّنه من مفاهيم ومعان مُهتمّين به كثيرا. فقد كان كُلٌّ واحد منهم يختلف مذهبه عن الآخر في هذا المجال. «مفهوم الأسلوب في التراث القديم قد ارتبط بعدة مسارات، فهو يدل على طريق العرب في أداء المعني، أي الخواص التعبيرية التي تناسب وكيفية أداء المعني المقصود، وكيف أنّ هذه الخواص هى التي تبرز الدلالة التي يهدف إليها الأديب». (عبدالمطلب، ١٩٩٣م: ٢٠). إلا أنّ أحمد الشايب يعرّف الأسلوب بأنّه «طريقة الكتاب أو طريقة الإنشاء، أو طريقة اختيار الألفاظ، أو تأليفها للتعبير عن المعاني قصد الإيضاح أو التأثير، أو الضرب من النظم والطريقة فيه». (الشايب، ١٩٧٦م: ٤٦). وما تعتمد عليه المقالة جمعٌ بين التعريفَين المقدَّمَين. لا يزال يخاطب الجواهري مواطنه الزهاوي في كثير من

مقاطع قصيدته. لعل الأمر يعود إلى حضور الجواهري على قبر الزهاوي حيث يراه قريبا منه:

وكُنتَ أرقَّ الناس طبعاً وَنُكتةً نَشيطاً فَحُوضُ الشِّعرِ بَعدَكَ راكِدُ

(الجواهري، بدون تاريخ: ٢٩١)

يستهل الجواهري قصيدته بهذا الخطاب «عَلي رُغم أنفِ الموت ذِكرُكَ خالِدٌ» كما يختمها بخطاب الزهاوي «أضاعوك حيا وابتغوك جنازة/ وهذا الذي تأباه صيدٌ أماجد» إلا أنّ بهار بما أنّه بعيدٌ عن قبر الزهاوي والمسافة بينهما شاسعة، لم يخاطب الزهاوي حتّى و لو مرة واحدة في قصيدته. وإن خاطب بلدَ العراق بهذه العِبارة «أيتها الزوراء» عندما أراد أن يفضّل الزهاوي عَلَى الشّعراء الآخرين:

أيها الزوراء! تو اُستادان فراوان ديدهاي
شاعراني فَحل و مَردانـي سُخَندان ديدهاي

(بهار، ١٣٧٨هـ.ش:٥٣٠)

١٦-٢-دلالة بدء القصيدة على كل القصيدة في قصيدة «الزهاوي» للجواهري

لا يريد الجواهري أن يكون الحزن سائدا على قصيدته؛ فلهذا مع الاتيان بهذه العبارة «ذكرك خالد» يذكّر المتلقّي بأنّه لا يريد البكاء في مأتم الزهاوي، إنما يريد الحديث عمّا في الزهاوي من ميزات وصفات. هذه الطريقة تُؤثّر في المخاطب فنّيا؛ لأنّ الشاعر بادئ القصيدة يعلن أنّ الحزن يكفي وذكرى الشاعرخالدة. ولو تأمّلنا في القصيدة تأمّلا لرأينا أنّ الشاعر لا يتأوّه ولا يقيم المأتم. إنّما بصدد إشفاء غلته وإرواء ظمئه بذكر صفاته الحسنة والتحسّر على هذه الفضائل. ولو حذفنا عبارات مثل «الحفيرة» و«ثوى» و«قبر الزهاوي» و«ثكلى» لزال ما في القصيدة من مأتم وحزن.

١٦-٣- الوحدة العضوية في قصيدة «در رثاي زهاوي: في رثاء الزهاوي» لملك الشعراء بهار

يقسّم ملك الشعراء بهار قصيدته إلى تسعة مقاطع حيثُ كل مقطع له قافية خاصّة به؛ فتيسيرا للبحث، يؤتى بالبيت الأول من كلِّ مقطعٍ كما يشار إلى ما يبسطه الشاعر من موضوع وحديث في ذلك المقطع:

المقطع الأول:

دجله ی بغداد بر مرگ زهاوی خون گریست
نِی خَطا گفتم که شرق از نیل تا سیحون گریست

الترجمة: لقدبكت دجلة بغداد على موت الزهاوي دما ولم أجانب الصواب إذا قلتُ: لقدبكى الشرق من نهر النيل إلى نهرسيحون.

المقطع الثاني:

رشوه دادیمش زعمر اَر مُـردنش دادی امـان
وَر پَـذیرفتی فـدا پیشـش فـدا کـردیم جـان

الترجمة: إذا لم يمُت فنحن نرشيه عُمراً.ولو قبل الفداء والتضحية لأفدينا بأنفسنا له.

المقطع الثالث:

شُد زهاوی خسته و زین دهرِ پُرغوغا گذشـت
دَست افشان پـای کوبـان اَز سـرِ دنیـا گُذشـت

الترجمة: لقدتعب الزهاوي من الدنيا المليئةبالضجيج والضوضاء، فترك الدنيا مَسرورا مُبتهجا.

المقطع الرابع:

أيها الزوراء تـو أُسـتادان فـراوان ديـدهای
شاعرانی فحل و مردانی سخندان ديدهای

الترجمة: أيتهاالزوراء! لقدنشأ وترعرع عندك كثيرٌ مِنَ الأساتذةكما نشأ فيك الشعراء الفحول والفصحاء.

المقطع الخامس:

هـيچكس را در جهـان جُـز مُـدتی معـدود نيسـت
غيـر ذات حـق تعـالی جـاودان موجـود نيسـت

الترجمة: لايبقى أحدٌفي هذه الدنيا إلاأياما معدودة ولايخلد موجودٌغيرالله سبحانه وتعالي.

المقطع السادس:

هيچ شادی نيستی گر در جهان غم نيسـتی
نيستی گر هيچ غمگين، هـيچ خـرم نيسـتی

الترجمة: إذا لم تكن الفرحة في العالم، فلم تكن الترحة. فإذا لم يكن المحزون، فلم يكن المسرور.

المقطع السابع:

گفتم اَز رِی رَخت بَربندم سوی بغداد مـن
پيشـواز آيـد شـوم از ديـدنش دلشـاد مـن

الترجمة: أردت أن أنهي الرحلة في «ری» متّجها نحو بغداد. فهو سَيرحّب بي وأنا

مسرورٌ بلقائه وزيارته.

المقطع الثامن:

غَم مخور اِی دل که خوب و زشتِ عالم بُگـذرد
سـور و مـاتم هـر دو بَـر فرزنـدِ آدَم بُگـذرد

الترجمة: لا تغتمّ أيها القلب! لأنّ ما في العالم من جيد وردیء سيزول (عن قريب). فما يعيش فيه ابن الآدم من فرحة و ترحة. سيقضي (عن قريب).

المقطع التاسع:

روح صدقی در جنان شاداست گویی نیست هست
جاودان از محنت آزاد است گـویی نیسـت هسـت

الترجمة: إنّ روح صدقي مسرورة في الجنّة. يبدو أنّها غير مسرورة، إلا أنّها مسرورة. روحه خالدة طليقة من أي عناء وبلاء. يبدو أنّها غير طليقة إلا أنّها طليقة.

الشاعر في المقطعين الأول والثاني يذرف الدموع باكيا في فراق صديقه. في المقطع الثالث يعترف بأنّه كل إنسان يترك الدنيا وإن يتحدث عن أنّ مأتمه يحرق الأكباد. في المقطع الرابع يفضل الزهاوي على كل الشعراء العراقيين علي مدى التاريخ. في المقطع الخامس يرى أنّ الزهاوي يتغمده الله برحمته كما يشيد بما عنده من صفات وميزات. في المقطع السادس يتحدّث عن الحِكَم. أمّا المقطع السابع فيشمل تحسّر الشاعر على السّفر إلى العراق وزيارة صديقه غير أنّه في المقطع الثامن يرى صديقه في الجنّة. كما يراه مسرورا في المقطع التاسع. بناء على ما تقدم، يقيم الشاعر تلاحما عُضويا في قصيدته حيثُ يبكي في مُستهل القصيدة ثمّ يقبل موت الزهاوي. بعد ذلك يأتي بالحكم و ما فيه مِن مَواعظ وفِي الختام يرى الشاعرَ العراقي فِي الجنة.

١٦-٤-الأسلوب الإخباري في قصيدة «در رثاي زهاوي: في رثاء الزهاوي» لملك الشعراءبهار

قليلا ما يستخدم بهار الجمل الإنشائية إنّما يستفيد من أسلوب الإخبار باستمرار إلا بيتين أو ثلاثة أبيات. يبدو أنّ بهار يرى قارىءَ قصيدته صديقا و قرينا له حيثُ يبوح له بما في قلبه من حرقة و لوعة. هذا وفي الوقت الذي يفضّل الشاعر العراقي الأسلوب الإنشائي على الأسلوب الاخباري.

النتيجة

لقد اهتمّت المقالة بعرض وتحليل ما جاء في القصيدتين من قواسم مشتركة و وجوه تباين. أمّا ما اهتدت إليه من النتائج فيمكن تلخيصها فيما يلي:

يُشيد الجواهري وبهار بالفضل والعلم لدى الزهاوي، كما يفضلانه على الشعراء الآخرين. إنّ قصيدة بهار يغلب عليها لون المأتم والتأبين وفيها ميزات كاملة للمرثية لما فيها من مواعظ وحكم؛ إلا أنّ قصيدة الجواهري تخلو من هذه الميزة وتُؤكّدُ على المنزلة السامية للزهاوي. يعتقد الجواهري أنّ الزهاوي شاعرٌ مكافح للظلم وراغب في العدالة إلا أنّ بهاريراه شاعرا وطنيا.

كلا الشاعرين يذكران اسم الشاعر الفقيد في القصيدة حيثُ أنّ الشاعر يجري علي قلوبهما ولسانهما. وذكر الشاعر الفقيد عدّة مرات في القصيدة يدل على الحزن لدى الشاعرين. فهما بهذا الأسلوب يسعيان وراء مرافقة المخاطب إياهما.

يستخدم الشاعر العراقي الأسلوب الخطابي حيث يستهل قصيدته بمخاطبة الزهاوي كما يختم قصيدته بخطاب الزهاوي أيضا. في حين أنّ بهار لم يخاطب حتّى و لو مرّة واحدة في قصيدته الطويلة الزهاوي.

بدء قصيدة الجواهري يدل على الغرض الرئيسي الذي يتبعه الشاعر العراقي في قصيدته؛ لأنّ الشاعر في مُستهل قصيدته يعلن عن أنّ «ذكرك خالد». فهو يريد تذكير مخاطبه بأنّه لا يريد البكاء والمأتم في فراق الشاعر الفقيد؛ إنّ خلوّ الحقل الدلالي المتّصل بالكلمات المثيرة للحزن والأسف يؤكّد ما ذُكِرَ.

إنّ قصيدة بهار فيها وحدة عضوية حيثُ كلّ أبياتها متلاحمة متماسكة؛ لأنّ الشاعر يقسّم قصيدته إلى تسعة أجزاء. وفي كل جزء إشارة إلى موضوع خاص. فالشاعر يبكي ثمّ يشيد بالشاعر الفقيد. بعد ذلك يمزج كلامه بالحكم وفي الختام يراه في الجنّة.

يستخدم الشاعر العراقي الأساليب الإنشائية في قصيدته إلا أنّ بهار طالما يستخدم الأساليب الخبرية لما فيها من مجال واسع للبوح بمكنونات القلب.

***

المصادر والمراجع

الف-المصادر العربية

١- ابن منظور (١٩٨٨م). **لسان العرب نسقه و علق عليه و وضع فهارسه علي سيري**، ط ١، بيروت: دارالكتاب الحديث.

٢- الحلي، صفي الدين (بدون تاريخ). **ديوان صفي الدين الحلي**، بيروت: دار صادر.

٣- حور، محمد (١٩٩٨م). **فلسطين في شعر الجواهري وقراءات في الأدب الحديث**، بيروت: المؤسسة العربية.

٤- خنساء (١٩٨٦م). **ديوان خنساء**، بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر.

٥- شايب، احمد (١٩٧٦م). **الأسلوب**، ط ٧، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

٦- شكيب انصاري، محمود، (١٣٩٣هـ.ش). **تطور الأدب العربي المعاصر؛ تاريخ ونصوص**، چ ٤، اهواز: انتشارات دانشگاه شهيد چمران اهواز.

٧- عبدالمطلب، محمد (١٩٩٣م). **بناء الأسلوب في شعر الحداثة**، ط١، القاهرة: دار المعارف.

٨- الفاخوري، حنّا (١٩٨٦م). **الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب الحديث)**، بيروت: دار الجيل.

٩- مهدي الجواهري، محمد (بدون تاريخ). **ديوان الجواهري؛ الشاعر الكبير محمد مهدي الجواهري، صححه وضبط بحوره الدكتور مرشد جعفر الراكي**، قم: منشورات ذوي القربي.

ب-المصادر الفارسية

١- بهار، محمد تقي، (١٣٧٨هـ.ش). **ديوان اشعار محمد تقي بهار (ملك الشعرا)**، تهران: سمير.

٢- حافظ، شمس الدين محمد، (١٣٨٠هـ.ش). **ديوان اشعار به اهتمام قاسم غني وعلامه قزويني**، چ٢، تهران: سورمق.

٣- زرين كوب، عبد الحسين، (١٣٧٩هـ.ش). **شعر بي دروغ شعر بي نقاب**، چ٥، تهران: انتشارات علمي

٤- فردوسي، (١٣٨٦هـ.ش). **شاهنامه بر اساس چاپ مسكو**، چ٣، تهران: نشر علم.

٥- محسني نيا، ناصر، (١٣٨٩هـ.ش). **جميل صدقي زهاوي وزبان وادبيات فارسي**، نشريه علمي-پژوهشي پژوهشنامه زبان وادب فارسي (گوهر گويا).

٦- مير انصاري، علي، (١٣٨٥هـ.ش). **ارج نامه ملك الشعراء بهار**، چ١،تهران: ميراث مكتوب.

٧- همايي، جلال الدين، (١٣٧٥هـ.ش). **فنون بلاغت وصناعات ادبي**، چ١٢،تهران: مؤسسه نشر هما.

٨- يا حقي، محمد جعفر، (١٣٧٨هـ.ش). **جويبار لحظه‌ها؛ ادبيات معاصر فارسي**، تهران: جامي.